المحاضرة الخامسة عشر

(أثر التحلي بالأخلاق الفاضلة في تربية النشيء )

إن التربية الصحيحة لا تبدأ في سن معين للطفل بل تبدأ قبل ولادته، وهي باختيار شريك أو شريكة الحياة المتحلين بالأخلاق الإسلامية الرفيعة . ثم تتطور إلى المعاملة الحسنة بين الطرفين واتباع الشريعة الإسلامية وسنة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم ) في المعاملات الاجتماعية .

وهذا ما نعتبره فترة التمهيد لتربية الطفل . فلا نغفل للحظة عن أهمية حسن المعاملة بين الوالدين وما لها من تأثير على تربية الطفل حيث هما القدوة الحسنة والمثال الأعلى للطفل وهما أول ما يعي الطفل عليه . ثم هنالك عوامل أخرى لا تقل أهمية عن هذا العامل وهي تقديم اسم الله للمولود بمجرد الأذان في أذنه وذلك لإبعاد الشيطان عنه، هنا تكون دعوته لله سابقة على دعوة الشيطان . ثم تبدأ علاقة هذا الطفل الاجتماعية مع والديه حيث لا حول ولا قوة له، ويكون اعتماده الكلي عليهما في إطعامه (الإرضاع) ونظافته وتدفئته وكل ذلك يولِّد شعور الطمأنينة في الطفل وبالتالي يتولد شعور الحب والثقة لديه .

الإسلام سبق كل الحضارات عندما وضع قواعد وأسس نظرية في تربية الطفل، تلك النظرية أثبتت التجارب والوقائع نجاحها ونبل غايتها، وعلينا دائماً أن نحرص على أن تتركز تربية الطفل على التوازن بين حقوق هذا الطفل وواجباته. وذلك يتم تدريجياً مع مراحل نموه حتى يصل إلى مرحلة المسؤولية الكاملة، وعندما يصل إلى سن التكليف الشرعية الإسلامية والتي تشتمل على مراحل متعددة لرعاية الطفل بدءاً من اختيار الزوجة، والمرور بمراحل الحمل والولادة ثم التمييز فالبلوغ . ولا يوجد مقابل لمراحل الرعاية في أي بحوث أو دراسات أجنبية والتي اقتصرت على تعريف الطفل بأنه كل إنسان لا يتجاوز الثمانية عشرة، وهنا تظهر عظمة الإسلام وعنايته بالطفل والتي لم ولن نجد لها بديلاً أو مثيلاً. فالنظريات التربوية الإسلامية تحتوي على مراحل عديدة، فهي تبدأ في مرحلة الإعداد والتهيئة ثم التطبيق. فالتربية النبوية الإسلامية هي جهد إسلامي يمثل نوعاً من المعرفة الجنينية حتى نهاية مرحلة الشباب. ولعل ذكر التفسير اللغوي لكلمة " الأخلاق " يكشف عن مفهومها في عصر ما قبل الإسلام، لأن الإسلام أعطى لها قيمة جديدة، وجعل معناها أكثر شمولاً وتحديداً عما كانت عليه من قبل . والخُلُق: الخليقة أي الطبيعة، وفي التنزيل {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم}، والجمع: أخلاق، والخلق: السجية أو الطبع، وفي الحديث: « ليس شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة » .

فكما متفق عليه أن الأولاد هم زينة الحياة الدنيا. وفي صلاحهم قرة عين للوالدين. وفساد التربية وضعف الإيمان يهلك الآباء والأبناء والعياذ بالله. ولما كان الإثم الأكبر والمسؤولية العظمى على عاتق الوالدين، فعلى الوالدين أن يحملوا الأمانة كما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم: « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راع ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ». فالإسلام يتضمن تغطية شاملة لحقوق الطفل، وما يحتاج إليه منذ كونه جنيناً حتى بلوغ مرحلة الرشد، وأن الإسلام جاء موافقاً للطبيعة النفسية للطفل من خلال العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة لرسولنا الكريم (صلى الله عليه واله وسلم ) والتي تعتبر قدوة لأحدث التوجيهات التربوية المعاصرة، وهي التعليم عن طريق المداعبة واللعب. فحقوق الطفل المسلم تبدأ قبل الزواج وذلك بحسن اختيار الشريك المناسب حيث يكتسب الطفل الصفات الوراثية من والديه.

وللطفل الحق على والديه أن يتحملا مسؤوليتهما المشتركة بحسن تربيته بصورة قويمة، واجتناب السلوكيات والعادات السيئة والضارة والتدرج في منحه الحرية وفقاً لتطوره العقلي والعمري. ومن حقوق الطفل على والديه أيضاً، أن يكونا القدوة الحسنة له ليأمنا وليأمن من عذاب النار . فبما أن الطفل يخلق على الفطرة الخالصة والطبع البسيط، فإذا اجتهد الآباء على تثبيت الخلق الحسن ونقش الطباع الحسنة فيه فلقد نجحوا في إعداد هذا الطفل لخوض معركة الحياة، وإن تجاهلوا ذلك فهنالك من سيتولى رعاية هذا الطفل على طرق ربما لا ترضي الله تعالى. ولنتذكر دائماً قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « لإن يؤدب الرجل ولده، خير من أن يتصدق بصاع » . فتنشئة الطفل على الخير والصلاح ليكون للوالدين ذخراً بعد موتهما، فإن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) اشترط الصلاح في الابن كما في الحديث الشريف: « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث... ». وذكر منها "أو ولد صالح يدعو له".

**فالمربي المسلم عليه التحلي بالصفات التالية لمساعدته على أداء مهمته التربوية على أتم وجه، وبما يرضي الله عز وجل، ورسولنا وحبيبنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وليحافظ على سلامته وسلامة أطفاله والمجتمع من أفات العصر الفاسدة :**

1- المحافظة على العبادات والتمسك بالشريعة والسنة .

2- التحلي بخلق الرسول ( صلى الله عليه واله وسلم ) .

3- الأمر بالمعروف النهي عن المنكر.

4- التحلي بالحلم والصبر.

5- التحلي بالصدق والأمانة.

6- الابتعاد عن الكلام البذيء وانتقاد الآخرين.

7- مساعدة الآخرين وبر الوالدين.

8- العطف والحنان على الفقراء والمساكين.

9- احترام الآخرين، سواء أطفاله أو أفراد عائلته أو أفراد المجتمع.

**ولتنمية هذا السلوك الأخلاقي على أكمل وجه، فعلى المربي اتباع الطرق التالية مع الحرص على مراقبة سلوك الطفل وتفهمه له :**

1- استعمال الترغيب والترهيب لطاعة الله.

2- العظة الدائمة واللجوء إلى أساليب مختلفة في توجيه الطفل، واللجوء إلى القصص المذكورة بالقرآن الكريم.

3- الابتعاد عن استعمال الأساليب السلبية في معاملته للطفل وكثرة اللوم.

4- المساواة والعدل بين الإخوة وتنمية الحب والوئام بينهم.

5- التشجيع والثناء واستعمال الأسلوب الإيجابي كلما أتيحت الفرصة لتنمية الثقة بالنفس.

6- إدخال السرور والفرح لقلب الطفل ومداعبته واللعب معه.

7- البعد عن الغضب والعنف، والحلم عند المعاقبة.

8- الحرص على وجود الأصدقاء ذوي الأخلاق الحسنة.

9- احترام الطفل سواءً في البيت أو في المجتمع.

ولنعلم جميعاً بأنه كلما كان المؤمن أحسن أخلاقاً كلما كان أكمل إيماناً.